

السيرة النبوية للبراعم

(٣٣)

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا

الدكتور

محمد عمر الحاجي

طبعة الأولى

الطبعة الأولى

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

اللَّهُ أَكْبَرُ... جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ يَنْتَظِرُونَ وُصُولَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَحْرٍ مِنَ الْجَمْرِ!

ذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ أَسْلَمَ ، وَاتَّبَعَ النَّبِيَّ دُونَ
أَنْ يَرَاهُ ، وَيَعْرِفَهُ! وَكَانُوا يَخْرُجُونَ إِلَى خَارِجِ
الْمَدِينَةِ ، وَتَصْعَدُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ ،
وَيَتَفَرَّقُ الْعَبِيدُ ، وَالْخَدَمُ ، وَالغِلْمَانُ فِي الطَّرِيقِ ،
وَكَانُوا يُنَادُونَ فِي الْأَسْوَاقِ : يَا مُحَمَّدُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

وَكَانُوا يُرَدُّونَ : جَاءَ مُحَمَّدٌ ، جَاءَ

رَسُولُ اللَّهِ! اللَّهُ أَكْبَرُ جَاءَ مُحَمَّدًا! جَاءَ
رَسُولُ اللَّهِ...!

وَعِنْدَمَا رَأَهُ الْمُسْلِمُونَ وَقَدْ وَصَلَ إِلَى مَشَارِفِ
مَدِينَتِهِمْ ، فَرِحُوا فَرَحًا لَا مَثِيلَ لَهُ ، وَرَاحُوا
يُنْشِدُونَ :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا

مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ

وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا

مَا دَعَا اللَّهُ دَاعٍ

أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا

جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ

جِئْتَ شَرَّفْتَ الْمَدِينَةَ

مَرْحَبًا يَا خَيْرَ دَاعٍ

قَدْ لَبِسْنَا ثَوْبَ عِرٍّ

بَعْدَ تَمْزِيقِ الرَّقَاعِ

وَمَا زَالَ هَذَا النَّشِيدُ الرَّائِعُ يُرَدِّدُ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَيَحْفَظُهُ الصَّغَارُ ،
وَالكِبَارُ ، وَالذُّكُورُ ، وَالإِنَاثُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُذَكِّرُهُمْ
بِالْفَرْحَةِ الكُبْرَى ، وَهِيَ قُدُومُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى
الْمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ .

وَكَيْفَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ ، وَقَدْ رَوَى أَنَسٌ -
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذِي دَخَلَ
فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ . أَضَاءَ مِنَ الْمَدِينَةِ كُلِّ
شَيْءٍ .

* * *

يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ!

وَكَانَتْ بَعْضُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَضْرِبْنَ
بِالدُّفُوفِ وَهُنَّ يَقُلْنَ :

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ

يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ!

فَنظَرَ إِلَيْهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ :

« أَتُحِبُّنَنِي ؟ » . فَقَالُوا : إِي وَآلِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ!

قَالَ : « أَنَا وَآلِهِ أَحِبُّكُمْ ! وَأَنَا وَآلِهِ أَحِبُّكُمْ !

وَأَنَا وَآلِهِ أَحِبُّكُمْ ! » .

.. وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْأَنْصَارِ وَهُمْ

يُعْبَرُونَ عَنْ فَرَجِهِمِ الشَّدِيدِ بِوُصُولِهِ إِلَيْهِمْ .

فَيَبْتَئِسُ ابْتِسَامَةً تَدُلُّ عَلَى فَرَحِهِ بِذَلِكَ ، يَشْكُرُهُمْ
عَلَى مَعْرِوْفِهِمْ ، وَحُسْنِ اسْتِقْبَالِهِمْ ،
وَضِيافَتِهِمْ...

وَهَذَا مَا جَاءَ وَاضِحاً فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، حَيْثُ
امْتَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَنْصَارَ ، وَقَرَّرَ الْبَيَانَ الْإِلَهِيَّ :
أَنَّ اللَّهَ رَاضٍ عَنْهُمْ ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا
كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ
بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) .

وَقَالَ تَعَالَى أَيْضاً : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ

(١) سورة التوبة : ١١٧ .

عَنَّهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾

* * *

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

الخطبة النبوية الأولى بالمدينة

وَأَلْقَى رَسُولُ اللَّهِ بِالْمُسْلِمِينَ خُطْبَةَ الْجُمُعَةِ ،
وَكَانَتْ أَوَّلَ خُطْبَةٍ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، جَاءَ فِيهَا :
« إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، نَعُودُ بِاللَّهِ
مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ
يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِنَّ
أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ
بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ
النَّاسِ ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ ، وَأَبْلَغُهُ ، أَحِبُّوا مَا

أَحَبَّ اللهُ ، أَحِبُّوا اللهُ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ ، وَلَا تَمَلُّوا
كَلَامَ اللهِ ، وَذِكْرَهُ ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبِكُمْ ، فَإِنَّهُ
مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللهُ يُخْتَارُ ، وَيُصْطَفَى . وَمِنْ كُلِّ
مَا أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، فَاعْبُدُوا اللهُ
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ ،
وَاصْدُقُوا اللهُ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ،
وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكثَ
عَهْدَهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

* * *

يَا لَيْتَكَ تَنْزِلُ عِنْدَنَا..!!

وَلَوْ عَلِمْتُمْ يَا أَحِبَّتِي الْبِرَاعِمَ كَيْفَ كَانَ حَالُ
الْأَنْصَارِ حِينَمَا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ قَدْ حَلَّ ضَيْفًا عَلَيْهِمْ ؟

الْكُلُّ يَزْجُوهُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ ، فَهَذَا يَقُولُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كُلُّ دَارٍ لَنَا هِيَ لَكَ ، فَهَلُمَّ إِلَى
الْقُوَّةِ...! هَلُمَّ إِلَى الْمَنْعَةِ...!

وَهَؤُلَاءِ أَخْوَالُ أَبِيهِ مِنْ بَنِي النَّجَارِ يَرْغَبُونَ
أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُمْ...

وَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ يُشِيرُ عَلَيْهِمْ فِي أَنْ اتْرَكُوا
النَّاقَةَ الْقَصُوءَ ، وَلَا تَأْخُذُوا بِلِجَامِهَا ، وَلَا

تَعْتَرِضُوهَا : فَقَالُوا : وَلِمَ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ : « خَلُّوا سَبِيلَهَا ، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » .

وَقَدْ يَسْأَلُ أَحَدُكُمْ يَا أَحِبَّتِي ! وَكَيْفَ تَكُونُ
النَّاقَةُ الْقِصْوَاءُ مَأْمُورَةٌ ، وَهِيَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ؟

وَالجَوَابُ : أَنَّ النَّاقَةَ جُنْدِيٌّ مِنْ جُنُودِ الْخَالِقِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، مُصَدِّقٌ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (١) .

لِذَلِكَ بَقِيَتْ النَّاقَةُ تَسِيرُ فِي أَرْقَةِ الْمَدِينَةِ ،
إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى أَمَامِ بَيْتِ صَحَابِيٍّ مِنْ فُقَرَاءِ
الصَّحَابَةِ ، هُوَ أَبُو أَيُّوبِ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَدَخَلَ بَيْتَ أَبِي أَيُّوبِ ،
لِيَكُونَ أَبُو أَيُّوبِ هُوَ الْمُسْتَقْبِلَ الْأَوَّلَ

(١) سورة المدثر: ٣١ .

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَبَقِيَ الرَّسُولُ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ مُدَّةً تُقَارِبُ
السَّنَةَ ، حَيْثُ فُرِّغَتْ لَهُ عُرْفَةٌ مِنْ عُرْفِهَا ، وَكَانَ
النَّاسُ يَأْتُونَ الرَّسُولَ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ .

وَكَانَتْ دَارُ أَبِي أَيُّوبَ بِمِثَابَةِ مَكَانِ اسْتِقْبَالِ
الْوُفُودِ ، وَعَقْدِ الرِّايَاتِ ، وَمَحْكَمَةِ الْقَضَاءِ ،
وَمَكَانِ الصُّلْحِ ، وَالْمُشَاوَرَاتِ ...

حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وَأُلْحِقَ
بِهِ بَعْضُ حُجْرَاتِ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ، عِنْدَئِذٍ تَرَكَ
الرَّسُولُ بَيْتَ أَبِي أَيُّوبَ وَاسْتَقَرَّ قُرْبَ الْمَسْجِدِ ..

* * *

فَمَاذَا إِنْ مَاتَ الْمُهَاجِرُ عَلَى الطَّرِيقِ ؟

وَإِكْتَمَلَتِ الْفَرْحَةُ بِوُصُولِ غَالِبِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ
إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، لَكِنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ وَهُوَ
ضَمْرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَاتَ فِي
طَرِيقِ الْهَجْرَةِ ، وَتَسَاءَلَ النَّاسُ : هَلْ يُعْتَبَرُ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ ، أَمْ لَا ؟

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : خَرَجَ
ضَمْرَةُ بْنُ جُنْدَبٍ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ :
أَحْمِلُونِي ، فَأَخْرَجُونِي مِنْ أَرْضِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ
مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١) .

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *

(١) سورة النساء : ١٠٠ .